معنى البعث

ثلاث دراسات من اليمن السعيد

***

وحدة

حرية

اشتراكية



منشورات الطليعـــة

تونس 2014

لماذا السابع من نيسان

عبده سيف

إن الظاهرة الاستعمارية قد جعلت المجتمع العربي في الأقطار العربية جميعها بعد الحرب العالمية الأولى خاضعة خضوعاً كاملاً للنظام الرأسمالي ، فهو أحد نقاط المحيط التابعة للمركز المتمثل بإحدى العواصم الأوربية الكبرى ، فالقطاعات الأساسية للبناء الاجتماعي في الوطن العربي وهي القطاع البدوي والريفي والحضري ظلت طيلة المرحلة الاستعمارية خاضعة لأنواع من الاستقلال والتوجيه الاستعماريين الأمر الذي أدى إلى سيطرة الاقطاع وتحكم النظام القبلي وارتفاع نسبة السكان في القطاعين البدوي والريفي وانخفاضها في القطاع الحضري ثم إلى غلبة الصفة الانقسامية بين المجتمعات العشائرية ونشوء نوع من العزلة بينهما وبين المدن وإلى عدم وجود تقيم عمل الريف بالمعنى الحديث وبقاء الريف يعمل حسب الأساليب البدائية وإلى عدم نشؤ طبقة عاملة أو صناعية وطنية انتاجية تلبي حاجات التطور الداخلية وإلى اتساع الشقة بين الريف والمدينة وإلى انتشار الأمية وإلى تعطيل دور المرأة ، ونتيجة للتوازن بين معدلات الولادات والوفيات فقد كانت الزيادة الطبيعية لسكان الوطن العربي بطيئة جداً في هذه المرحلة كما أن الهجرة الداخلية والخارجية مثل الهجرة لأمريكا وأفريقيا قد شكلت في هذه المرحلة إحدى الظواهر البارزة في الحياة العربية .

ولقد لعب الاستعمار لعبه التفتيت الاجتماعي عن طريق استقلال الأقليات القومية والدينية بحيث استطاع أن يخلق منها في داخل كل قطر من الأقطار العربية مشكلة مزمنة ، حيث خلق لبعض هذه الأقليات أهدافاً سياسية واجتماعية واقتصادية مناهضه لأهداف غالبية السكان كما مكن الأقليات الفرنسية في المغرب العربي عامة وكذلك زرع الأقلية اليهودية الصهيونية في فلسطين كما عمل على تغذية التعصب بين الطوائف ودفع الحركات الوطنية داخل الأقليات القومية باتجاه معاكس لحركة التحرر العربي ودفع بها إلى حدود التمرد والعصيان .

وعملت الظاهرة الاستعمارية على قطع كل وسائل الاتصال الاجتماعي بين الأقطار العربية عن طريق إنشاء الحدود فيما بينهم وإقامة الجمارك وخلق ثقافات متعددة وتوجيه الإعلام والصحافة توجيها انعزالياً حتى طرق المواصلات التي دفعت إليها لأغراض استراتيجية مثل خط سكة الحجاز الحديدي لم يعاد إصلاحها بعد الحرب العالمية الأولى وبقيت المطارات بدائية وخاضعة لعمليات تقنيين الاتصال الحضاري بين الوطن العربي والعالم المتقدم حضارياً وحصر هذا الاتصال بعواصم الدول الاستعمارية كل على انفراد .

ويمكننا أن نلخص السمات العامة لهذه المرحلة في النقاط الأساسية التالية :-

١- هيمنة الظاهرة الاستعارية وتأثر المجتمع العربي بتطور النظام الرأسمالي .

٢- طابع التخلف المسيطر على القطاعات الثلاثة (البدوي والريفي والحضري) للبناء الاجتماعي في الوطن العربي وارتفاع نسبة السكان في القطاعين البدوي والريفي وانخفاضها في القطاع الحضري .

٣- غلبة العلاقات الاقطاعية في الريف والنمو النسبي في العلاقات الرأسمالية في المدن .(البرجوازية التجارية والصناعية) .



٤- بدء بروز الطبقة العاملة وصعود الطبقة الوسطى (المُلّاك الصغار والتجار المتوسطون وأصحاب المهن الحرة والمثقفين الوطنين والعناصر الوطنية في الجيوش العربية) .

٥- انتشار الأيديولوجيات الليبرالية والاشتراكية والفاشية إلى جانب تطور الوعي القومي ونمو النزعات الاستقلالية والتحررية ..

كما يمكننا أن نتبين ملامح الأساسية للأحزاب التي أفرزتها المرحلة من الحرب العالمية الأولى إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية حيث مرت الأقطار العربية خلال هذه المرحلة بموجات متصاعدة من الصراع ضد الاستعمار والمطالبة بالاستقلال والتي أفرزت الآتي :-

١- إجماع القوى الوطنية بغض النظر عن انتمائها الطبقي و تكوينها الفكري على مكافحة الاحتلال الأجنبي .

٢- ظهور وتنامي الشعور القومي مقترن بوعي قومي خالص .

٣- هيمنة الطابع الإقليمي على الحركات الاستقلالية وتركيزها على تحقيق الاستغلال السياسي ضمن حدود القطر .

٤- قيام شعور بالتعاطف والتضامن بين الحركات الإقليمية كما هو الحال بالنسبة للحركة الوطنية بين سوريا ولبنان ومصر والعراق أو بين أقطار المغرب العربي .

٥- سيطرة الفئات البرجوازية على قيادات الأحزاب السياسية .

٦- بروز الطبقة الوسطى عن طريق المثقفين والضباط وقيادات الأحزاب والحركات السياسية ..

٧- بروز دور النخبة المثقفة على حساب المشاركة الواسعة والفعالة للجماهير الشعبية .

٨- قلة عدد الأحزاب العربية بوجه عام وفقر تراثها واهمال الأحزاب الوطنية التي تتزعمها العناصر البرجوازية للمطالب الاجتماعية وعزلها لمطالب الاستقلال والحرية عن مطالب التغير الاجتماعي والتطور الرأسمالي وكذلك إغفال الأحزاب التقدمية للعلاقات بين النضال ضد الاستعمار وبين فكرة الوحدة العربية والنضال ضد التجزئة .

ومن أهم الأحزاب السياسية في الساحة العربية .

آ- الأحزاب ذات الطابع الليبرالي :- وهي أحزاب تأثرت بمبادئ الثورة الفرنسية وبأنظمة الغرب والنزعات الدستورية والتحررية وهي أحزاب برجوازية بوجه عام مثل حزب الوفد في مصر ١٩١٩ والكتلة الوطنية في سوريا وحزب النهضة والوطني والحر في العراق ١٩٢٢ وحركة المؤتمر الوطني في السودان ١٩٣٦ وحزب الشعب الجزائري ١٩٣٧م .

ب- الأحزاب ذات الطابع الديني :- كجمعية الشباب المسلمين في العراق وفلسطين وسوريا وجماعة الإخوان المسلمين في مصر ١٩٣٢ ومنظمة الكتائب اللبنانية ١٩٣٥م ، ومنظمة النجادة ١٩٣٦ وبعضها طائفية ومذهبية .

ج- الأحزاب القومية :- وهي امتداد للجمعيات السورية والحركات التي كانت منذ أواخر العهد العثماني تدعو إلى وحدة العرب بشكل غامض مثل حزب الاتحاد الدستوري ١٩٢١ أنشأ في مصر على أيديالسوريي ن كقاعدة

للعمل القومي ، ثم اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ١٩٢١-١٩٢٣م ثم عصبة العمل القومي التي دعت إلى الوحدة العربية الشاملة في الثلاثينات في سوريا ونادي المثنى في العراق في نفس الفترة .

د- الأحزاب الإقليمية : وهي الأحزاب التي أنكرت الانتماء القومي .. وقالت بوجود أمم عربية كالحركة الفرعونية في مصر والحركة الفينيقية في لبنان والحزب القومي السوري ١٩٣٢م .

هـ - الأحزاب الاشتراكية :- وهي الأحزاب الاشتراكية الوطنية مثل جماعة الأهالي في العراق ١٩٣١ وجماعة عبدالرحمن شهيد وابراهيم حداد وعبدالله العلايلي في سوريا ولبنان في الثلاثينات وبعض أجنحة حزب الوفد في مصر وهي أحزاب مزجت بين الدعوة السياسية والإصلاح الاجتماعي ضمن الأطر الدستورية القانونية ، ثم الأحزاب الماركسية الشيوعية كالحزب الشيوعي اللبناني ١٩٢٤ والحزب الشيوعي السوري ١٩٢٤ والحزب الشيوعي الجزائري١٩٣٠..

مرحلة الحرب العالمية الثانية وما بعدها :

خلال فترة الحرب كانت منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا مسرحاً عسكرياً هاماً للحرب العالمية الثانية وذلك لأسباب ،أهمها :-

الاحتياطي الهائل من النفط في العراق والجزيرة العربية وسواحل الخليج .

ولكون أقطار الوطن العربي محتلة أو تحت الوصاية الاستعمارية فقد شاركت عدة أقطار عربية مع الحلفاء وقد أشار وينستون تشرشل بدور العرب في تحقيق انتصار الحلفاء حيث شارك الآلاف من المواطنين العرب بطرق مباشرة أو غير مباشرة في الحرب سواء كان في مصر أو لبنان أو العراق أو فلسطين أو اليمن أو في أقطار المغرب العربي لكون هذه الأقطار محتلة بريطانيا تحتل العراق وفلسطين وشرق الأردن والكويت والبحرين وبقية أقطار الخليج الأخرى والسودان وعدن وجزء من الصومال وتسيطر على أنظمة الحكم في كل من العراق ومصر والسعودية .

وكذلك فرنسا تحتل كل من سوريا ولبنان والجزائر وتونس والمغرب وجزء من الصومال إضافة احتلال إيطاليا لليبيا .

واحتلت الجيوش الأمريكية عام ١٩٤٣م المغرب وأنشأت عدة قواعد جوية وبحرية في ليبيا والسعودية اضافة إلى قواعد المغرب .

أما الاتحاد السوفيتي فلم يكن له أي علاقة بالوطن العربي من بداية اندلاع الحرب في أيلول ١٩٣٩ إلى نهاية الحرب في ١٩٤٥م ..

ففي مرحلة الحرب العالمية الثانية وبعدها شهدت حركة التحرر العربي تطوراً هاماً سواء على صعيد الفكر السياسي الذي استطاع أن ينتصر على الأفكار الفاشية ويفصح عن حقيقة النضال العربي المعاصر وعن الهوية التقدمية التحررية الحضارية لهذا النضال رغم المؤامرات التي تعرض لها الوطن العربي مثل (المؤامرة الصهيونية في فلسطين) وخلق الكيان الصهيوني كواقع مصطنع في الوطن العربي الذي بات يهدد الحياة العربية برمتها نتيجة هذه الزيجة والالتقاء الامبريالي الاستعماري والصهيونية ، ولذلك شهد الوطن العربي ميلاد الكثير من الأحزاب التقدمية والتحررية الوطنية والقومية وعلى راس تلك القائمة ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، والناصريون كحركة قومية .

وفي السابع من نيسان ١٩٤٧ ولد حزب البعث العربي الاشتراكي بعد مخاض استمر من ١٩٤١- ١٩٤٧م حيث كانت المرحلة التمهيدية والتي ظهرت كتابات ودعوات العديد من المفكرين القومين وانتهت بنشؤ الحركة العربية الثورية (حزب البعث العربي الاشتراكي)

حيث تم التشديد على المنطلقات الآتية :-

١- اعتبار القومية حقيقة كامنة وراء ركام التجزئة والتخلف والاستغلال والاستعباد يكشفها الانسان العربي كلما تكامل وعيه وإدرك هويته الاجتماعية وكانت له مواقف صادقه من الحياة .

٢- القومية العربية هي المحرك النضالي للامة العربية في هذه العصر .

٣- وهي دوام للعلاقة بين ماضي الامة العربية وحاضرها ومستقبلها ووعي لوحدة شخصيتها فهي كما يقول القائد المؤسس في عام ١٩٤٠(تذكر حي) وهي (حب قبل كل شيء) وهي (حب وتضحية) وهي (قدر محبب) .

ففي الصعيد الايديولوجي استطاع فكرالحزب الثوري أن يكشف عن أخطاء وانحرافات النظرات الاصلاحية اليمينية والنزعات القومية العنصرية والمنطلقات الاقليمية القطرية والحركات الرجعية والمفهوم الاممي الستاليني وجميع النظريات والافكار التي تفتقر الى المفهوم القومي الانساني التحرري والى المضمون الاجتماعي الاشتراكي. التقدمي والى الايمان بدور الجماهير .

واستطاع هذا الفكر الثوري الجديد ان يثبت من خلال الصراع الايديولوجي الطويل في الفكرة العربية الثورية التي تتميز بالربط الجدلي بين الوحدة والحرية والاشتراكية .

وعلى الصعيد السياسي النضالي والاجتماعي شهد تاريخ البعث هذه المرحلة صراعا بين الحركة الثورية التي جسدت فكرة البعث والتخلف والاستغلال وشهد ملاحم رائعة للكفاح ضد انظمة الحكم وسلطاتها القمعية المسلطة ضد الجماهير والمناضلين الثوريين والكفاح ضد الدكتاتورية والاحلاف الاستعمارية والاتفاقيات الاستسلامية مع الاستعمار وشهدت المرحلة صورا مشرقة للتضحية والفداء في كل زاوية من الوطن العربي ولازالت هذه الصور تتكرر يوميا والى يومنا هذا في العراق وليبيا وسوريا ولبنان والسودان واليمن وتونس والجزائر وفي كل قطر عربي .

وإن شاب هذا التاريخ ما شاب الحركات الثورية في العالم الثالث من محاولات التشويه والتزوير والتخريب الداخلي وانتابه ما انتابها من علل واخطاء ومر به ما مر بها من تجارب سلبية ومن مؤامرات خارجية تستهدف القضاء على التجربة العربية الثورية فان هذا التاريخ قد سجل حقيقة راسخة وهي ان حزب البعث العربي الاشتراكي باقي بقاء العروبة والاسلام ويملك القدرة التاريخية على الصمود وعلى التجدد والتطور وعلى الارتفاع دائما دايما فوق ذاته وفوق كل التناقضات المحيطة به او المزروعة في طريقه .

وحين يعود البعثي الي المراحل الاولية السابقة التي تشكل ماضي حركته الثورية التاريخية ويستعرض مواقف الكفاح ضد التجزئة بجميع اشكالها وصورها ضد الاستعمار والرأسمالية الاحتكارية العالمية وضد الاستغلال بكل اشكاله والوانه فعندما نتلمس هذ النضال في الخمسينات والستينات والسبعينات والى يومنا هذا على الصعيدين الفكري والعلمي في توحيد الفكر العربي الثوري وفي ربط الثورة العربية الشاملة وفي تحريك الجماهير العربية من المحيط الى الخليج ضمن اطار وحدة النضال العربي وفي تحقيق المكاسب الاشتراكية التقدمية .

عندما نتذكر ذلك كله يدرك لماذا نحتفل بالسابع من نيسان ولماذا كانت الانتصارات والمد الشعبي الثوري ملازما للتمسك بالمنطلقات الاساسية لنشؤ حركة البعث كما اننا ندرك في الوقت نفسه لماذا النكسات التي رافقت حركة النضال كما نستطيع من خلال هذا التحليل ان نحدد الاخطاء وان نستكشف ابعاد المرحلة المقبلة وان ندرك متطلباتها .

ونحن نحتفل بالذكرى علينا التفتيش في ركام التجارب على عوامل الصمود الكامنة في تلك التجارب لان فيها تكمن القوى الحقيقية للمستقبل العربي الثوري وسنلاحظ ان الصمود البعثي خلال ادوار نموه ومراحل تطوره بالرغم من كل المؤامرات التي تجمعت عليه يرجع الى مجموعه او جمله من الحقائق

هذه الحقائق عرف بها البعث وولدت معه وهي تحمل سرها وهي سر قوته وتتمثل في :-

١- الفكرة العلمية الثورية القائمة على نظرية العلاقة الجدلية بين الوحدة والحرية والاشتراكية (قانون تطور الامة العربية) .

٢- التزام خلقي عميق وتمسك بوحدة الوسيلة والهدف .

٣- تنظيم قومي يتجاوز التجزيئية والاقليمية ويمثل العمل الوحدوي ومفهوم القيادة القومية الواحدة .

٤- ايمان بالشعب وبدور الجماهير وبخط النضال الشعبي .

٥- استقلالية متميزة اصيله ليست مقلدة ولا تابعه ذات طابع ثوري تقدمي يعبر عن الحاجات التاريخية لكل المراحل للأمة العربية .

كانت انتصارات البعث وانتصارات الثورة العربية خلال الحقب التاريخية الماضية ونكساتهما ملازمة لمدى الحرص على المنطلقات والحقائق والتمسك بها لأنها تمثل دوماً السر في قوة الصمود أمام المحن وانتصار أمام العقبات ، والتطور أمام الجمود ، والنضج أمام الطفولة ، والنظرة الشاملة العميقة الهادفة أمام النظرات الجزئية السطحية المجردة ، وكما كان لحزب البعث الدور القائد للنضال الجماهيري في المرحلة السابقة حيث قام الحزب في مرحلة النكبة بدور لا يقل خطورة عما قام به وتمثل في :-

١- تصحيح آثار الانحرافات والأخطاء التي طبعت المرحلة السابقة للنكبة .

٢- القضاء على كل المحاولات الرامية لتصفية القضية الفلسطينية وضرب الثورة العربية .

٣- تحويل الهزيمة إلى منطلق للنصر .

٤- تطوير الثورة العربية فكراً وأداء .

إن هذا الدور هو بمثابة امتحان تاريخي جديد لأكبر حركة ثورية في الوطن العربي وهي تدخل هذا الامتحان في ظل ظروف التمزق والفتن الطائفية والمؤامرات الاستعمارية لنهب مقدرات الأمة وتمزيقها وتدمير مكتسباتها السابقة واحتلال أجزاء من أراضيها تحت مسميات كثيرة إضافة إلى الهجمة الصفوية الفارسية الشرسة لاحتلال أراضيها وتقاسمها مع الامبريالية والصهيونية .

وما من نكبة شهدتها الأمة والجماهير العربية الثورية مثل تلك التي حدثت في الخامس من حزيران .

فإذا كان للحزب الدور الفاعل في تثبيت الفكرة العربية الثورية وانضاج محتواها والأداة النضالية المعبرة عنها فإن دوره الآن بعد الهجمة الاستعمارية الأمريكية والبريطانية في احتلال العراق وتدميره وتسليمه لإيران الفارسية الصفوية لتمزيق نسيجه الاجتماعي وزرع الفتن الطائفية ، فإن دوره مع ما تبقى من قوى الصمود في الثورة العربية المعاصرة على الارتفاع بالفكر العربي الثوري والأداة الثورية العربية إلى المستوى الذي تتطلبه المعركة المصيرية الراهنة مع التحالف الاستعماري الامبريالي الصهيوني الصفوي في هذه المرحلة أقوى .

فإذا كان لذكرى تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي ، من دلالات فإنها تكمن في مدى تمسك هذه الحركة التاريخية بمبررات وجودها كحركة تاريخية تعمل لمئات السنيين ، فالدور التاريخي لحزب البعث للمرحلة الراهنة تقوم على تهيئة الشروط الموضوعية لتجديد نفسها وتجديد قوة الثورة العربية عبر مناخ ثوري جديد يقضي على كل مظهر من مظاهر الثورة المضادة للقوى الرجعية المشبوهه والمعادية لحزبنا وللخط التقدمي للثورة العربية والقضاء على النزعات التشطيرية والقطرية والاقليمية المعادية للخط القومي الوحدوي والنضال العربي ونزعات الدكتاتورية المعادية للجماعير العربية الثورية .

ولابد أن يرتفع العمل الثوري من جديد إلى مستوى العمل التاريخي وتحت قيادة جبهة قومية تقدمية على نطاق الوطن العربي . **

** تطور الأيديولوجية العربية (د. إلياس فرح)

الثورة العربية الجزء الثاني ١٩٦٨م

معنى البعث

الرفيق عبد الله الحماطي

فى كل ذكرى لتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي يتجدد السؤال الذي يطرحه نشوء البعث منذ أوائل الأربعينات : ما معنئ البعث ؟ .

ويأتي الجواب عبر التراث الفكري والممارسات النضالية التى حفل بها ليحدد المعايير الموضوعية التى تكشف مواقع المناضلين البعثيين من بعثهم ومكان البعث من الثورة العربية .

لقد بدأ البعث جواباً على سؤال كبير تطرحة الأمة العربية على نفسها فئ هذه المرحلة التاريخية من حياتها ومن تطور العالم المعاصر ، ما هو طريق النهضة ؟ ، لذلك كانت للبعث معان عامة تحدد هويته الأساسية ،

كما كانت له معان خاصة تحدد مهامه الكبرى فى كل مرحلة من مراحل النضال على طريق النهضة القومية .

ما هى المعاني الاساسية للبعث ؟ :

أولاً : البعث هو (طريق النهضة) طريق استرجاع الهوية والقضاء على الضياع وتجديد الشخصية في مجتمعنا (نتيجة لما آل إليه من انحراف وتأخر وتشويه بحاجة إلى أن يغالب نفسه ويناضل نفسه بحاجة إلى بذل جهد ومشقة كبيرة حتى يسترد ذاته الحقيقية وأصالته)[1].

لذلك ، فإن البعث هو بعث الروح ، فهو روح جديدة تخترق واقع الأمة وهو (صفحة جديدة من تاريخ النهضة العربية) افتتح بها (عهد البطولة) عهد (الذين يجاهرون بأفكارهم ولو وقف ضدهم أهل الأرض جميعاً) ، فنضال البعث هو (السبيل إلى بعث الروح العربية وتحقيق الانقلاب العربي) ، وهو ينطلق من الشعور بالحاجة إلى إيقاظ الدوافع الروحية العميقة في الشخصية الإنسانية ، لأن (الدافع الروحي العميق لا يسيطر على المادة والوسائل فحسب وإنما يخلقها) ، فالانقلاب (يجب أن يتناول الروح مباشرة وأن لا ينحصر أو يتوقف عند حدود الأشكال والمظاهر) ، لأن التبديل السطحي (الذي لا يمس الروح والذي لا يفتح الفكر ولا يهز الخلق ويقومه ولايفجر الإيمان نتيجة المصاعب) لا يلبي حاجة الأمة ولا يعبر عن طريق البعث الذي ينبغي أن يكون (المصنع للأدوات الانقلابية الأمينة الوفية) وللمناضلين ذوي (النفوس القوية المثالية التي تتعفف عن المصلحة الشخصية) وتنظر إلى الحياة نظرة بطولية .

ثانياً : البعث (إيمان) لأن (فلسفة البعث العربي تتلخص فى هذه الكلمة : ثقة الأمة العربية بنفسها واعتمادها على قوها)[2].

وهذه العقيدة (ترتكز على أقوى دعائم الواقعية والعلم وهي ، أن مصلحة المجموع العربي هي في اتجاه هذه المعركة) ، لهذا فإن نشأة البعت ومجرد ظهوره يعتبر (حافزاً) فالبعث يمثل إذاً إرادة العدد الأكبر لا (الأقلية المشوهة الشاذة المستعبدة لأنانيتها ومصالحها الخاصة لأنها لم تعد من الأمة) ، وقوة البعث هى بالإضافة إلى كونها (قوة العدد الأكبر من مجموع الشعب العربي) هي (قوة التاريخ العربي وقوة التاريخ الإنساني فى تقدمه نحو الحرية والاشتراكية والوحدة) .

ثالثاً : البعث (حب قبل كل شيء)[3] يرفع الإنسان العربي (فوق حدود فرديته وأنانيته) عندما يعلم (أنه واحد من الملايين الذين تعاقبوا خلال القرون والأجيال) ، والذين (كتبوا تاريخ أمتهم ورفعوا بنيانها وحضارتها) ، وأنه مسؤول عن مستقبلها وأن الرابط القومي هو المحبة التى تقود إلى التضحية لأن التضحية وحدها هى طريق البطولة .

رابعاً : البعث هو (الانقلاب)[4] ، هو (توحيد الوطن العربي) ، هو (بعث الروح فى أمتنا) ، هو أن (يعود العربي والأمة بمجموعها إلى الموقف الإيجابي الفاعل الإرادي السليم) ، هو (هذه النظرة الانقلابية التي تفهم النضال بأوسع معانيه ، فهو فى آن واحد نضال مع القوى الخارجية (الصهيونية والقوى الاستعمارية) ، وهو نضال ضد الأوضاع الفاسدة فى داخل الوطن سواء أكانت ظلماً سياسياً أم اجتماعياً ، استغلالاً أم جهلاً ، وضعف في الفكر وتعصباً ونقصاً فى المحبة والتسامح) ، البعث (هو انقلاب بالمعنى العميق لا ينحصر بالسياسة إنما يتناول الفكر والروح والتربية الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية .

خامساً : البعث هو (الانبعاث من الداخل)5 ، هو (نتيجة حاجة إلى معالجة مشاكل الوطن العربي معالجة جذرية وكلية) ومنطقة ارتفاع (فوق كل المنطق القومي المتعصب والمنطق الأممي المتعصب) وربط بين (القومية والإنسانية حتى تكاد تصبح أحدهما مرادفة للأخرى) ، والبعث هو (حركة قومية بمعنى أنها من داخل الأمة وأنها واثقة من تجاوبها مع حاجات الأمة وأنها تقوم على الوعي الشعبي الذي هو أكبر قوة تستند إليها) .

سادساً : البعث (أخلاق وحضارة ونظرة اشتركية) ، وهى بذلك (حركة عميقة جداً تتصل بالمفاهيم الإنسانية الخالدة)6 ، ولابد لها (من نظرة أخلاقيه ونظرة فلسفية عامة) ، ونظرتها الأخلاقية تنحصر فى الأمر الآتى : (مادام العيش الطبيعي الكريم محرماً على الأكثرية الساحقة من الشعب نتيجة للأوضاع الفاسدة فإن المؤمنين بحق الشعب لا يقبلوا أن يشاركوا فئ عيش يعتبرونه الآن غير مشروع ويرونه ظلماً للشعب لذلك فهم يفضلون عليه حياة المبدأ) .

سابعاً : البعث (حركة أصيلة صادقة) ، فهو (حركة انبثقت من قلب العروبة ومن أعماق التربة العربية ومن صميم أمتنا ، فهي حركة لها موقفها الخاص كالكائنات الحية التي تنمو حسب قوانين ثابتة)7 ، أنها (حركة تاريخية تقوم على الروح العلمية والفكر المنظم يلتقى فيها الوعي على أحسن أشكاله بالإيمان فى أعمق صوره) .

ثامناً : (البعث حركة حية)8 تحتفظ بتوترها الداخلي لتعبر بشكل دائم عن يقظة مجتمعنا العربي وانبعاثه وتنظر إلى ذاتها وإلى الواقع (نظرة حية) تتجاوب مع (يقظة الروح العربية ومع حاجة أمتنا العميقة إلى الانطلاق والخلق) ، فالبعث يدرك بأن (كل حركة معرضة لأن تفقد من عفويتها من حريتها من أصالتها وأن تطغى عليها الشعارات التقليدية أن تطغى عليها الألفاظ أن تصبح صنماً وأن تصبح أفكارها أصناماً) ، لذلك فإن اليعث ينفر من (تمجيد الظواهر والشكليات والعناوين والألفاظ) حتى لا تتجمد حركته في نصف الطريق ، وهو (يقدر دور الأفراد الذين لا يستعبدهم الجو الجماعي والذين يحتفظون بحريتهم باستقلال تفكيرهم بصفاء نفوسهم حتى ولو كانوا مشاركين فى اندفاع المجموع) .

تاسعاً : البعث (طريق عربي مستقل)9 ونظرةجديدة إلى الوحدة العربية فهي (تمثل شيئاً جديداً فى حياة العرب فى ناحيتي الفكر والعمل) ، فلأول مرة (يظهر مفهوم ثوري للوحدة العربية) وتقترن الدعوة (إلى وحدة النضال العربي) بالعمل على تحقيق هذا النضال تحقيقاً فعلياً ، فالبعث منذ تأسيسه (أول من تجاوب مع نضال المغرب العربي وأول من أعلن عن مبداء استقلال الطريق العربي الاشتراكي وأول من دعا إلى سياسة الحياد ودعا إلى حل ثوري جديد لمشاكل العالم يحترم حرية الإنسان واستقلاله) .

عاشراً : البعث (حزب صاحب رسالة)10 ، فهو يدرك بأن (الصورة الصادقة للحزب الذي تحتاجه أمتنا) ، وهو الحزب الذي (يجعل هدفه خلق أمة أو بعثها شريطة أن يحقق هذا الوصف فى نفسه أولاً ، أي ان يكون هو أمة مصغرة للأمة الراقية التى يريد أن يبعثها) ، فالبعث قد حدد بصورة واضحة الفارق الجوهري بين وظيفة الحزب فى أمة كأمتنا وأوضاع كأوضاعنا وبين وظيفته في أمم أخرى وأوضاع مختلفة وعرف (إن الحزب الذي تناديه الأمة العربية من أعماقها هو الحزب الذي يجعل الأمة غاية له لا للدولة وأنه يكون أمة مصغرة تكون نموذجاً للأمة الشاملة) ، ورسالة البعث هي (أن يكون أمة الانقلاب قبل أن يحقق انقلاب الأمة) ، أي أن يكون بينه وبين الواقع الذي يثور عليه (فرق حوهري لا يقبل النسبية) وأن يبرهن على (عقلية جديدة وروح جديدة وخلق جديد لا تجمعه بالواقع أية رابطة) .



حادي عشر : البعث حزب (الأصالة والحداثة)11 ، حزب (التراث القومي والمعاصرة) ، فالبعث الذي هو (حركة انقلابية متجهة بقوة وعنف نحو المستقبل) ليس (حركة فاقدة الصلة بالماضي) لأن البعث (يميز بين الماضي كروح والماضي كشكل) والتشبع بالتراث القومي (لا يعني العبودية للماضي والتقاليد ولا فتور الابتكار والتجديد بل يعني العكس تماماً) ، فالاتصال بالتراث (يزيد فى اندفاعنا ويقوي انطلاقنا ويضمن اتجاهنا ، فلا نكون حائرين ، بل نكون واثقين أن انطلاقتنا تمتد على أساس متين هو التشبع بروح أمتنا والمعرفة الواضحة لأنفسنا ولواقعنا والاحساس الصادق بحاجاتنا واكتشاف التناقض بين واقعنا وحقيقتنا والشعور بالمسؤولية عن إنقاذ الأمة) ، إلا أن الاتصال بالتراث فى نطر البعث لا يكون إلا بالنضال (فالسير الصاعد فى طريق الانقلاب هو السبيل الوحيد لالتقائنا بماضينا ، ونرتفع إليه ونصعد فقد كان ماضينا انقلاباً ولن نبلغ مستواه ولن نلتقي به إلا عن طريق الانقلاب) ، فالإبداع والحرية يلتقي ماضينا بمستقبلنا وعندئذ يشكل الماضي وحدة حية مع الحاضر والمستقبل .

ثاني عشر : البعث (مفهوم جديد للحياة القومية)[12] قوامه (الإيمان بالقيم الروحية الإنسانية وبقيمة الروح العربية الأصيلة ومظهره الانفصال الحاسم عن مفاسد الواقع ومكافحتها فى طريق صاعدة شاقة) ، لذلك كان البعث إنقاذاً للقومية العربية (من مفهومين منحرفين : مفهوم القومية المجردة ومفهوم القومية الدينية) ، فهو (حركة قومية تتوجه إلى العرب كافة على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وتقدس حرية الاعتقاد وتنظر إلى الأديان نظرة مساواة فى الاحترام ولكن ترى إلى جانب ذلك فى الإسلام ناحية قومية لها مكانتها الخطيرة فى تكوين التاريخ العربي والقومية العربية) ، وهو حركة تعتبر الإلحاد (موقفاً زائفاً فى الحياة لأن الحياة معناها الإيمان) كما تعتبر أن (الدين الحقيقي هو دوماً مع المظلومين ومع الثائرين على الفساد لأنه لا دين مع الفساد والظلم والاستثمار) فالمناضل البعثي (يجب أن تتوافر فيه شروط صعبة جداً وتكاد تكون متناقضة فهو حرب على كل تدجيل باسم الدين والتستر وراءه لمنع التطور والتحرر والإبقاء على الأوضاع الفاسدة والتأخر الاجتماعي ولكنه في الوقت نفسه يعرف حقيقة الدين وحقيقة النفس الإنسانية التى هي إيجابية قائمة على الإيمان) ، إذن على المناضل البعثي (عندما يحارب الرجعية أن يتذكر دوماً أنه مؤمن بالقيم الإيجابية) .

ثالث عشر : البعث (حزب الوحدة)[13] فالوحدة العربية هى أبرز شيء فى فكر البعث والتنظيم القومي هو طبعه المميز والوحدة بنظر البعث (هي نتيجة للانقلاب الروحي فى المجتمع العربي وهو أيضاً فى نفس الوقت سبب من أسباب هذا الانقلاب) أنها (شيء ينبعث من أعماق حياة العرب) ، وليست مجرد (نقاط التقاء مشتركة بين الأقطار العربية) ، لأننا نكون بهذا الشكل أعطينا مشروعية وترسيخاً للتجزئة .. فالوحدة ثورة على التجزئة وعلى التخلف وطريقها هو (النضال الموحد) ، والبعث (ثورة فى تاريخ الأمة العربية) ، لأنه (طرح قضية الأمة العربية طرحاً ثورياً لأول مرة منذ مئات السنين واعتبر الأمة العربية فى مرحلة ثورة تاريخية ووضع قضية الأمة العربية ومصيرها ضمن قضايا العالم ومصير الإنسانية) ، وقد كان لقضية الوحدة مكانة بارزة فى فكر البعث ونضال البعث (لأنها كانت معرضة لأن تظلم حتى من الذين ليس لهم مصلحة ولأن معركة الوحدة أصعب معركة) .

رابع عشر : البعث (حزب الطبقة العاملة)[14] فالبعث (جزء من الطبقة العاملة) ، والاشتراكيون الصادقون (يعتبرون أنفسهم جزءاً من الطبقة العاملة) ، والحكم الاشتراكي (هو الحكم الذي تقوده الطبقة العاملة) ، والقومية العربية (مرادفة للاشتراكية) و(النضال القومي وهو نضال فى سبيل تحقيق الاشتراكية) ، ولا يمكن أن نكون اشتراكيين أن ندعي الاشتراكية وأن نبقي (دور الطبقة العاملة محدوداً مراقباً وأن ننظر إليها وكأننا لسنا منها وليست منا) .



خامس عشر : (البعث حركة تاريخية تعمل لمئات السنين) ، والحزب التاريخي (هو الذي يطرح مناضلوه قضيته على مستوى الحياة والموت والقبول بالموت كضمانة متجددة لجدية دوره التاريخي) ، والعمل الفدائي (يمثل الصيغة العملية لتحقيق هذه الصورة وهذا المستوى على صعيد الحزب) ، فحزبنا (لا يمكن أن يكون مدافعاً خائفاً على أعضائه همه الحرص عليهم ، حزبنا لا يمكن أن يكون إلا مهاجماً مجازفاً بأعضائه لكسبهم وشدهم إليه بمقدار ما يعرضهم للخطر ولكل ما يمتحن إيمانهم وثوريتهم وأخلاقهم الأصيلة ويثبتها ويزيدها عمقاً وصلابة) .

تلك هي المعاني الأساسية الجوهرية للبعث التى تشكل ملامح شخصيته المتميزة وأهدافه الكبرى ومهماته الثابتة ودوره الرئيسي على مستوى المرحلة التاريخية ككل ، بيد أن هذه المعاني تأخذ عبر ظروف النضال القومي ومراحله الجزئية أشكالاً خاصة ويتحدد من خلالها المعنى الأساسي للبعث كنظرة للواقع لا كنظرية جامدة ، إن للبعث نظرة للواقع مرنة لصالح المجموع القومي لذلك لابد أن يتحدد المعنى التاريخي للبعث فى كل مرحلة من هذه المراحل الجزئية على ضوء شبكة العوامل المحيطة بالنضال العربي .

فالبعث يعني عام 1948 مواجهة الاستعمار وهو رد على النكبة التي نكب بها العرب باحتلال الصهاينة فلسطين بمساعدة الاستعمار الإنجليزي هو العمل ضد الأحلاف الأجنبية كحلف بغداد ، وبعد العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 يعني النضال من أجل الوحدة السورية المصرية التي تحققت عام 1958 والنضال من أجل تجديد الوحدة بعد الانفصال .

البعث يعني ثورة اليمن 1962 ودعمه المنعوي والسياسي له ، البعث يعني الموتمر العمالي بعدن ونضالاته ضد المستعمر البريطاني ، البعث يعني دعم ثورة الجزائر ومناضليها وإسناد ومساعدة المناضلين الشرفاء فى المغرب العربي .

البعث يعني تصحيح الأخطاء التي حدثت فى أمتنا بعد نكبة 1967 ، البعث يعني ثورة 17 - 30 تموز 1968 وتجاربه ومنجزاته العملاقة القومية لصالح الأمة العربية والثورة العربية .

البعث يعني الدفاع عن بوابة العرب الشرقية من الأطماع الفارسية الهمجية الذي أظهر للعرب جيش العراق وانتصارته فى قادسية صدام حسين ، رحمة الله .

البعث يعني مواجهة الامبريالية الأمريكية ومعاونيها الفرس والصهاينة ومحاولاتهم في تركيع الأمة العربية لكلي لا تأخذ دورها التاريخي القيادي الإنساني فى العالم .

البعث يعني أم المعارك ، يعني معارك الحواسم ، يعني المقاومة العراقية الباسلة .

البعث يعني (عهد البطولة) ، عهد شهداء البعث وتضحياته .

البعث يعني نضالات البعثيين فى ساحات النضال والجهاد والشهادة من الخليج العربي إلى أقصى المغرب العربي .

رحم الله القائد المؤسس أحمد ميشيل عفلق .

رحم الله الشهيد القائد صدام حسين .

الرحمة والخلود لكل شهداء البعث العظيم

المراجع

1-فئ سبيل البعث ص 9 و65 -69 و70 .

2-نفس المصدر ص40-42 .

3-معركة المصير الواحد ص59-63 .

4-نفس المصدر ص139-142 .

5-نفس المصدر ص139-142 .

6-فى سبيل البعث ص34-35 .

7-نفس المصدر ص37-39 .

8-نفس المصدر ص43-46 .

9-نفس المصدر ص52-55 .

10-نفس المصدر ص59-64 .

11-نفس المصدر ص 78-79- 87-88 و92و 102 .

12-نغس المصدر ص166-167 و204 و207 و215-216 .

13-نفس المصدر ص 241-242-277- 279-280 .

14-نقطة البداية ص123 وفئ سبيل البعث ص205

العروبة جسدٌ رُوحَهُ الإسلام

بقلم:عبدالواحد هواش

21-03-2012

بعد ما يقارب القرن على جريمة سايكس – بيكو، التي ارتكبتها كلٍ من بريطانيا وفرنسا الاستعماريتين في حقنا كعرب عام 1916م، وبمساعدة روسيا القيصرية، اكتشفت الصهيونية العالمية، إن مُخَطَطْ " التشطير والتجزئة والتقاسم " لهذه الأرض العربية، الذي نُفذ طبقاً لتلك الاتفاقية بين القوتين الاستعماريتين المذكورتين، لم يكن كافياً لتحقيق الأهداف التي توختها الاتفاقية، وإن " الدولة القطرية " التي دعمتها



الإدارة الأمريكية والغرب عموماً، بكل وسائل الدعم والمساندة خلال القرن المنصرم لتكون مانعاً لتقارب ووحدة الأمة، وقاعدةً آمنة لنهب ثرواتها وخيراتها، عجزت عن القيام بأدوارها ومهامها الموكلة إليها، وفي مقدمة تلك المهام، حماية الكيان الصهيوني الغاصب وتطبيع التعامل معه، وتشويه وتغييب وعي الأمة بواحدية نضالها ومصيرها وبحتمية وحدتها!!.. ولذلك قررت الولايات المتحدة الأمريكية - باعتبارها اليوم قائدة الصهيونية العالمية - ومن خلال هذا (الربيع الدموي)، وهذه المرة بمساعدة وإسناد وتمويل سخي من بعض عرب الجنسية للأسف الشديد - ، قررت تطوير جريمة أسلافها، مُستفيدةً من تجربة مواجهاتها المرة مع حركات التحرر العربي خلال الـ(96) عاماً الماضية، - بما فيها حربي العراق وأفغانستان – ومسترشدةً بالعديد من الدراسات والكتب والخطط والبرامج والتصريحات، التي صدرت عن المؤسسات الصهيونية – الأمريكية، خلال الفترة، والتي ظلت ولازالت تلح وتؤكد على ضرورة إعادة رسم وتقسيم جغرافية الوطن العربي، وتفتيت أقطاره - المُجزئة أصلاً - ، إلى " كانتونات " دينية ومذهبية، وعلى النحو الذي يضمن ويؤدي إلى طمس أسس ومقومات الانتماء القومي الواحد لهذه الأمة في محيطها الجغرافي العربي، ومسخ وتفريغ هويتها العربية من مضمونها الوحدوي، لأن في ذلك وحده، يتحقق " الأمن والاستقرار والبقاء والتفوق الدائم " للكيان الصهيوني الغاصب، كهدف استراتيجي ملح لهذه المنظومة الاستعمارية، وبالتالي تتحقق بهذا الهدف كل مصالحهم الاستعمارية المرجوة من المشروع الذي يستهدف بالنتيجة وجود الأمة، أرضاً وإنساناً وحضارة ورسالة!!؟، وهذا ما يؤكدُ فعلاً تشخيص الزعيم الراحل جمال عبد الناصر لطبيعة صراع الأمة مع الكيان الصهيوني الاستيطاني عندما قال (إن صراعنا مع الصهيونية العالمية، صراع وجود وليس صراع حدود).. عسى أمة (اقرأ) أن تتعظ من هذه الوقائع والأحداث، وتُدرك أبعاد مواجهتها مع أعدائها، وضرورة استنفارها للجهاد والتصدي لهذه المخططات الظالمة، كواجبٍ وطني و(فرض عين) شرعي ديني وأخلاقي ومبدئي وإنساني، ما دامت المواجهة أصبحت مفتوحة وفي كل شبرٍ من الأرض العربية، والعمل بكل القوى والإمكانيات المتاحة على إفشال المؤامرة بمراميها وأهدافها القريبة والبعيدة.

فبعد سلسلة الهزائم النكراء والنكسات والخسائر الكبيرة في الأرواح والأموال والاقتصاد والسمعة والمكانة الدوليتين، التي تكبدتها وواجهتها الصهيونية العالمية – وفي المقدمة منها الإدارة الأمريكية – في كلٍ من العراق وأفغانستان ولبنان وفلسطين..الخ، وعجزها الواضح والجلي – هي وركائزها الحاكمة في المنطقة العربية - عن إيقاف المد الجهادي المقاوم لوجودها على الأرض العربية، والذي أخذ يتصاعد ليشكل خطراً حقيقياً على الاحتلال الصهيوني ووجود كيانه الدخيل، وعلى ركائزها العميلة عموماً في المنطقة.. وبعد يأسها الكلي وفشلها في كسر شوكة " القوى القومية العربية " أو إجبارها على التطبيع معها ومع كيانها المسخ.. بعد كل ذلك، كان لا بد للولايات المتحدة الأمريكية، أن تتخذ خطوات سريعة وجادة لإعادة ترميم علاقاتها التاريخية الحميمة بالحركات الإسلامية وتنظيماتها ومنظماتها التابعة، وعلى الأخص تلك التي سبق وأن رفعت سقف التنسيق معها في السبعينيات من القرن الماضي، إلى مستوى التحالفِ السياسي – العسكري الاستراتيجي، الذي " تجلبب بالدين " حينها، وهَزمَت به إمبراطورية الإتحاد السوفيتي ودول المنظومة الاشتراكية مجتمعة!!؟، وذلك لمواجهة وتلافي تداعي وانهيارات ركائزها العميلة في المنطقة من جهة، وكجزءٍ من " مشروع الحرب المذهبية – الطائفية " الذي أعدّته الصهيونية العالمية ليكون سلاحها ووسيلتها لحماية مصالحها في المنطقة العربية خلال الألفية الثالثة من جهة ثانية، والذي تعتقد الولايات المتحدة الأمريكية أنها بمثل هذا الحلف الجديد الملتحف بالدين والمذهبْية، تستطيع – كما حدث في أفغانستان وأمثالها - مواجهة الفكر القومي العربي، وقواه التي استعصى عليها وعلى أنظمتها التابعة ترويضها، أو القضاء على المد الجهادي العروبي المقاوم لوجودها ومصالحها، خاصةً وأنها أي (الإدارة الأمريكية) قد كان لها تجربة حية في هذا المجال، عندما نجحت بتوظيف وتجنيد هذه القوى والحركات " الإخوان المسلمين "

وتنظيماتها الإرهابية التابعة، لتكون رأس حربتها المتقدمة في التحالف الأمريكي – الغربي لاحتلال العراق وتدميره وتمزيقه، وفي إطار التحالف الجديد، كررته في ليبيا ويجري تطبيقه اليوم – وبذات المواصفات البشعة – في سوريا!؟.

فما حدث ويحدث اليوم في فلسطين، ويعتملُ وتُنفذُ خطواته في مصر وسوريا والسودان واليمن وتونس، وحتماً – وكما أكد ذلك الأمير طلال بن عبد العزيز في حديثه عن " قطر" ودورها في أحداث المنطقة – فإن السعودية هي الأخرى، ومثلها كل قطر عربي يمتلك مقومات الدولة، لن تكون في مأمنٍ من هذا " السونامي " المُعَد والمُنتج والمُخرَج من قبل الصهيونية العالمية!!.. أقول إن كل ما حدث ويحدث في هذه الأقطار، يُدلل على إن هذا المخطط الجديد – القديم، لا يستهدف أقطارٍ بعينها، وإنما يستهدفُ أقطار الوطن العربي برمته، سواءً منها تلك المعادية لأمريكا والكيان الصهيوني أو الصديقة والتابعة لهما!!، لأن المطلوب – لإدماج الكيان الصهيوني في المنطقة (وهو الهدف المركزي لهذا المشروع الاستعماري) – هو المُضي بعيداً بعيدا في تفتيت وإضعافِ كياننا القومي، بحيثُ يصبح الوطن العربي مقسماً كرقعة الشطرنج، وأن تُجَزأ جميع أقطاره إلى " إمارات " أو " دويلايات ومشيخات " مجهريه في حجم وطواعيةِ " عزبة قطر " مثلاً كما يقول إخوتنا المصريون، ليسهل تسليم إدارة هذه الإمارات والمشيخات للشركات الأجنبية عابرات القارات – كما هو حال بعضها اليوم - وعندها يتسلَم الباب العالي " الأردوجاني – الأطلسي " خلافة ومرجعية هذه الإمارات المجهرية المستقلة في الوطن العربي، تحت شعار " عودة الخلافة!!؟ "، التي تنادي بها هذه الحركات الإسلاموية، والتي ستصبح بقيادة " الباب العالي " إحدى مكونات منظومة " الشرق الأوسط الكبير " التي بَشرت بها ودعت لها وعملت جدياً لتحقيقها الإدارات الأمريكية المتعاقبة، منذُ ولاية " نيكسون " وحتى اليوم، بقيادة أضلاعها الثلاثة المعروفة وهي " إيران وتركيا والكيان الصهيوني!؟ "، وهكذا ووفقاً لهذا المشروع، سيتم - كما أشرنا - إعادة رسم خارطة المنطقة وإماراتها، على أساس " ديني ومذهبي وطائفي وعرقي "، ومن ثم دفع هذه العصبيات الجاهلية المتخلفة، - كلٌ في إمارته ومشيخته – وبشكلٍ جماعي موجه، للعمل أولاً على " اجتثاث " الفكر العروبي القومي – كما يحدث الآن على سبيل المثال في العراق وليبيا والسودان وتونس – انطلاقا من رفض الحركات الإسلاموية للقومية العربية، باعتبارها من منظورهم " بدعة غربية!!؟ "، وثانياً كي تبقى هذه الولايات المذهبية المجهرية الهجينة بعد ذلك، مشغولة في نفسها وبصراعاتها البينية الموجهة أمريكياً وصهيونياً في إطار (الفوضى الخلاقة)، وفي سباقها الدائم والمُتهافت على كسب رضاء (اليانكي) الأمريكي، وخدمة مشاريعه الاستعمارية في المنطقة، وبهذا تعتقد الإدارة الأمريكية أنها ستُجَنِبُ نفسها مستقبلاً، ويلات وكُلفة تجاربها المرة السابقة في التدخل العسكري المباشر لحماية مصالحها، كما حدث في العراق وأفغانستان ولبنان والصومال..الخ، واكتشفت – ولكن بعد فوات الأوان - أنها دفعت ولازالت تدفع، وستستمر تدفع الكثير والكثير نتيجةً لتلك التدخلات العسكرية المباشرة، حتى يأذن الله – عن قريب - بتمزيق كيانها وأفول نجمها وزوالها.. وهذه سنة الله في الإمبراطوريات الظالمة.

هذه الصورة المعبرة عن جدية مُخَططُ تفتيت أقطار الأمة - وكما عايشناها في مواجهات اليمن وليبيا - تتجسدُ اليوم بأبشع صورها في سوريا، حيثُ ينهج هذا التحالف للولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية مع الحركات الإسلاموية هناك، نهجاً تدميرياً شاملاً لكل مناحي البناء الحضاري والثقافي والاقتصادي والتنموي وحتى الأخلاقي، في ذلك البلد الضارب جذوره في أعماق الحضارة الإنسانية.. نهجٌ " شمشونيٌ " حاقدٌ على كل مُنجز فيه، وغيرَ مكترث بذهابِ البلد إلى الجحيم، كي يسقطوا النظام ويصلون إلى السلطة " حتى وإن كان على أشلاء الوطن وجماجم كل أبنائه!!؟، ونفس الدور الذي لعبته ذات الحركات الإسلاموية، في بدايات الغزو الأمريكي – الأطلسي للعراق وأفغانستان وليبيا - دفعت هذه الحركات بكهنتها " كهنة " المذهبية والإرهاب والتخلف والحقد والتحجر والتعصب الدموي الديني، الواحد تلو الآخر، لإصدار الفتوى تلو الأخرى بفتح الحدود

والتطوع للجهاد (ليس في فلسطين أو العراق لدحر الغزاة منهما، لأن هذا سيزعج أولياء أمورهم وسيجدون أنفسهم مطلوبين في خانة الإرهابيين!!؟) ولكن في سوريا العربية!! وبإهدار (ليس دم نتن ياهو ودماء جنود الاحتلال الصهاينة) وإنما دم الرئيس/بشار الأسد المسلم ودماء أفراد الجيش العربي السوري المرابط في مواجهة الصهاينة!؟.. لا بل ودماء طائفة مسلمة بأكملها من الشعب السوري!!؟.. ومطالبة أمريكا والغرب بغزو دمشق وإسقاط النظام فيها!!؟، تماماً كما أفتوا باستباحة العراق واغتيال شهيد الحج الأكبر صدام حسين واجتثاث البعث، وبقتل الشهيد/معمر القذافي ومناصريه!؟، وأجازوا لحلف الأطلسي تدمير واحتلال ليبيا ونهب ثرواتها وتجزئتها!!؟، ضاربين عرض الحائط بكل آيات الله في القرآن الكريم وفي كل الكتب السماوية، المحرمة لقتل النفس المسلمة، وأحاديث سيد الأنبياء وخاتمهم صلوات الله وسلامه عليه، الذي قال في أحدها ما معناه (لهدم الكعبة حجراً حجرا أهون عند الله من قتل مؤمن يقول ربي الله)، كل هذا حقداً منهم على " العروبة فكراً وأمة "، وفي اعتقادهم الواهم أنهم بهذه الفتاوى الإجرامية – الإرهابية، وما ينجم عنها من سفكٍ للدماء، وقتلٍ للنفس التي حرمها الله، يقضون على العروبة هويةً وفكراً وأداةً، وبالتالي يزيحون من أمامهم القوى القومية التقدمية، التي استعصى على قوى الاستعمار والهيمنة (أمريكا والغرب والصهيونية) ترويضها واستخدامها في مشاريعهم الاستعمارية، وفي حروبهم ضد الأمم والشعوب الأخرى، على النحو الذي تمكنوا فيه من توظيف القوى والحركات المتأسلمة وفصائلها الإرهابية في " أفغانستان والعراق والشيشان وصربيا ودول المنظومة الاشتراكية سابقا!!؟ ".. وهي اليوم – أي الحركات الإسلاموية – بتحالفها الجديد – القديم هذا، وبدمويتها " الدراكولية " التي صبغت بها " ربيعها القاتم "، إنما لتؤكد لأمريكا، أنها ملتزمة بالضمانات التي قدمتها لها وللإتحاد الأوروبي.. وأنها في سدة الحكم – كما هي اليوم في تنفيذ ما يوكل إليها - ستكون الأوفى والأكثر قدرة على تنفيذ ما يُطلب منها من مشاريع، بكفاءة وقدرات أكبر وأخلص من أنظمة الحكم العميلة المنبوذة شعبياً، التي اعتمدت عليها أمريكا والدوائر الغربية، منذ اتفاقية " كامب ديفد " وحتى سقوط مبارك وبن علي!!؟، ولسان حالها يقول " هذه أعمالنا تدلُ علينا " وعلى وفاءنا!؟.

مُخطط وسيناريو طويل ومتشعب، افتتحوا خطواته الأولى باحتلال العراق وتدميره وتجزئته، ويُمَنون أنفسهم باستكمال أهدافه " بفصلهم الخريفي المجنون " الذي استهدف قلع أمة الضاد من جذورها أرضاً وإنساناً وفكراً وكينونة وحضارة، ولكن كل المؤشرات والمقدمات تقول وتؤكد، إن نهاية هذا المخطط لن تكون إلا وبالاً عليهم وعلى حلفائهم الأمريكيين والصهاينة، لأنهم يُبْحِرُون في مستنقعات ضَحْلة موبوءَة، وتقودهم " بوصلات " الظلم والظُلُمات بالضد من إرادة الأمة والحق والعدل.. قد ينجحون فعلاً في زرع الخلاف والشقاق والفرقة.. بل والدفع بأبناء الوطن الواحد إلى الاقتتال والتناحر كما حدث ويحدث في اليمن وليبيا وسوريا والسودان ومصر والبحرين، وقد ينجحون حتى في تمزيق أوطاننا المُجزأةُ أصلاً، كما نجحوا في السودان والعراق والصومال وليبيا مثلاً، ويُحاولون في سوريا ومصر واليمن وحتى في السعودية!؟.. وقد يجنون بعض المكاسب المادية والسياسية نظير هذه الصفقة الخاسرة دينياً ووطنياً وأخلاقيا، ويحققون بعض الأمن لحليف حليفهم (الكيان الصهيوني) لزمن محدد، حتى يتمكن من تنفيذ مخططه المرسوم في القدس الشريف على أمل استكمال وهم " الوطن البديل "!؟.. ولكنهم قطعاً سيخسرون أضعافِ مضاعفةٍ أثناء وبعد عملية " المخاض " الحالية، التي يقودونها اليوم بتحالفاتٍ مصلحيه آنية، تخالف النصوص القرآنية المحرمة (موالاة الكفر) ضد إرادةِ أمتهم، وهم يعلمون يقيناً إنها ستكونُ وبالاً عليهم على الأمد القريب والبعيد.. وفي النهاية - والمؤمنين.نتائج المعارك والمخاضات الغير متكافئة القائمة اليوم -، فلن تغير من حتمية انتصار الحق وأصحابه (.. وكان علينا نصر المؤمنين.. صدق الله العظيم).. ولم ولن تغيرَ مُطْلَقاً منواحدة.إن أمةُ العربِ واحدة.. وإن العرب سيبقون – كما كانوا بالنسبة للرسالات السماوية التي كانت الأرض العربية مهبطاً لجميعها - صمام أمان حماية وصون وانتشار الرسالة المحمدية بعد الله عزَ وجلَ.. ذلك لأن لغة القرآن عربية، ولسان أهل الجنة العربية.. ولأن العروبة



جَسَدُ رُوحَهُ الإسلامُ.. ولأن واحد أقطارها ،امة العربِ - بمختلف أديانها وطوائفها وقومياتها، وعلى تعدد المذاهب والمعتقدات فيها – مبدأً أصيلٌ في مُكَونُ انتمائها الحضاري العربي.. وأن وحدة أقطارها، هو المصير الحتمي، مهما تعثرت خطواتها وبَعُدَ أوانها.. وإن الديمقراطيةُ وحقوق الإنسان – كمنظومةٍ لازمة لِتَحْقيق الحرية والعدل والمُساواةِ، ولتمكين الإنسان من الحياة وفق ما أراده واستهدفه الباري عزً وجل من خلق الإنسان لخلافته في الأرض، هما من السمات والمبادئ العقائدية والروحية والإيمانية لأمة العرب، وإن هذه الرياح الصفراء المنبعثة عن " وسنامي " الحقد والتخلف والعمالة والإرهاب، ستبددها حتماً إرادة الأمة في الجهاد والمقاومة والانتصار لقضاياها العادلة... ولك الله يا وطن.

منشورات

الطليعة العربية في تونس

